جامعة بنها
كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

الخطاب المقدماتي في مصادر النقد والبلاغة العربية
دراسة في نماذج مختارة

إعداد/

عبدالمنعم جمال عبدالمنعم

إشراف /

أ.م.د/ صلاح منصور خاطر
أستاذ الأدب العربي المساعد

أ.م.د/ وليد أحمد سمير
أستاذ الأدب العربي المساعد

المجلد 65
اكتوبر 2025
https://jfab.journals.ekb.eg/

الملخص :

إنّ الخطاب المقدماتي – باعتباره نصًّا موازياً – يُشكِّل عنصراً أساسياً من عناصر إنتاج الخطاب في مصادر النقد والبلاغة العربية القديمة؛ إذ لا يُمكن إنتاج الخطاب دون التقديم له بخطبة الكتاب، أو فاتحته، أو مقدمته؛ فهي التي تحمل عناصر إنتاجه، وطريقة تأليفه، ومنهج المؤلِّف فيه، وتقسيمات النص الداخلية، وغرض التأليف، وأهميته، وغيرها من العناصر التي ترتبط بالنص ارتباطاً وثيقاً، ولا يُمكن التخلِّي عنها، والتي تناولها الباحث، وتعرّض إليها في المصادر التي اختارها لهذه الدراسة، وحاول الباحث أن يقف على أهم العناصر التي يقوم عليها الخطاب المقدماتي، والتي تساعده في تحقيق أهدافه، وتقوّي صلته بالنص، وتمكِّنه من مساعدة القارئ في التعرُّف على النص، والوصول إليه من الطريق الصحيح، وتهيئته نفسياً قبل خوض رحلة طويلة داخل النص، وقد وقف الباحث على أهم العناصر الشكلية والضمنية التي اعتمد عليها العلماء العرب في كتاباتهم النقدية، والبلاغية، والكتابات الأدبية، واستطاع أن يخرج من بحثه بما يؤكِّد على اهتمام العلماء بالدور الكبير الذي تلعبه عناصر الخطاب المقدماتي، وتطبيقهم لهذا الدور، وعرضهم تلك العناصر قبل البدّء في متن النص، واعتباره جزءاً لا يُمكن فصله عن النص؛ فالعلاقة التي تربط مقدمة الكتاب بمتنه إذاً علاقة وطيدة قوية، وظهر ذلك جليًّا في اعتماد علماء النقد والبلاغة بصفةٍ خاصة، وعلماء العربية بصفةٍ عامة على جمع أهم العناصر المتعلِّقة بموضوع النص في الخطاب المقدماتي؛ فجاءت المقدمات حاملة لأغلب عناصر النص

الضمنية، وهو ما استنتجته هذه الدراسة عند استقصاء عناصر الخطاب المقدماتي في مؤلَّفاتهم.

الكلمات المفتاحية: الخطاب المقدماتي – النص الموازي – عناصر الخطاب المقدماتي – العناصر الشكلية – العناصر الضمنية.

إنّ الخطاب المقدماتي يُشكِّل عنصراً أساسياً من عناصر إنتاج الخطاب في مصادر النقد والبلاغة العربية القديمة؛ إذ لا يُمكن إنتاج الخطاب دون التقديم له بخطبة الكتاب، أو فاتحته، أو مقدمته؛ فهي التي تحمل عناصر إنتاجه، وطريقة تأليفه، ومنهج المؤلِّف فيه، وتقسيمات النص الداخلية، وغرض التأليف، وأهميته، وغيرها من العناصر التي ترتبط بالنص ارتباطاً وثيقاً، ولا يُمكن التخلِّي عنها.

ولقد أدرك العلماء العرب قيمة الخطاب المقدماتي، ودوره في إنتاج النص؛ فاهتموا به اهتماماً كبيراً، وأدركوا عناصره الشكلية والموضوعية، واستعملوها في كتاباتهم، يقول ابن الأثير: "وإنما خصت الابتداءات بالاختيار؛ لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه. ويكفيك من هذا الباب الابتداءات الواردة في القرآن الكريم، كالتحميدات المفتتح بها في أوائل السور، وكذلك الابتداءات بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" وكقوله تعالى في أول سورة الحج: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" فإن هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للإصغاء إليه".[1]

([1]) ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص98.

إنّ المقدمة إذاً ظاهرة كتابية قديمة، عرفها العرب، واهتموا بجمع عناصرها، وأخذت هذه الظاهرة تطور شيئاً فشيئاً، وظهرت بشكلها الحديث في القرن السادس عشر، حتى باتت تُعرف في العصر الحديث بالخطاب المقدماتي، الذي أصبح نصاً موازياً، وعتبة نصية من عتبات النص التي تحدّث عنها جينيت؛ فهي تضع للنص محيطاً، وتقدِّم له إيضاحاً وتفسيراً، وتوفر له بُعداً تداولياً، بجانب تأثيرها الكبير في القارئ، وجذبه نحو النص.[1]

❖ **أهميــة الدراســة:**

إنّ دراسة عتبات النصوص هي وسيلة لإيضاح العلاقة بين عناصر تصدير النص والمتن الأساسي، مما يلعب دوراً كبيراً في مساعدة المتلقي على الولوج إلى باطن النص وكنّه، فالأعمال الأدبية ليست أعمالاً عشوائية، وإنما كل جزء فيها يُكمل غيره، والعتبات ليست نصاً مستقلاً بذاته، وإنما هي مدخل المتن والطريق إليه، ومن هنا فإن الباحث حاول الربط بين الخطاب المقدماتي للمصادر البلاغية والنقدية المُختارة ومتونها، والنظر إليها نظرة بلاغية ونقدية جديدة، تفيد في مجال الدرس البلاغي النقدي، وتُوقفنا على أهم القضايا البلاغية والنقدية في ثقافتنا العربية القديمة؛ فنحن دائماً في حاجة إلى إعادة قراءة المصادر البلاغية والنقدية القديمة، والخروج منها بما هو جديد؛ ولعلّ تلك الأخيرة هي من أهم النتائج التي سَعَى إليها الباحث في تلك الدراسة، ألا وهي

(1) ينظر، عبد الواحد بن ياسر: *الخطاب المقدماتي*، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة – 2003م ، مج12، ج47، ص628 – 630.

الخوض في مضمار المصادر العربية القديمة؛ فَعَمَد إلى تطبيق تلك الوجهة النقدية على مصادر النقد والبلاغة العربية القديمة

❖ **منهج الدراسة:**

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في استقراء ظاهرة النصوص الموازية، وتطبيقها على مصادر الدراسة، وكشف جوانبها، والنظر في نصوصها، ووصفها وتحليلها، وبيان مدى الترابط بين مقدماتها ومتونها، ووصف الأدوات والعناصر التي استعان بها مؤلفو هذه المصنفات؛ لبيان أفكارهم وآرائهم البلاغية والنقدية، وعرضها على المتلقي، ووصف الدور الذي يلعبه الخطاب المقدماتي لمساعدة المتلقي في كشف غوامض المتن، وبيان أفكاره الأساسية، واستقراء النص الأصلي، وبيان مدى قدرة المُتلقي على فَهمه من خلال الوقوف على خطابه المقدماتي، وقد جاءت الدراسة في مبحثين: الأول عن ماهية المقدمة وعناصرها الشكلية، والثاني عن العناصر الضمنية للمقدمة.

❖ **الدراسات السابقة:**

إنّ الدراسات حول موضوع النصوص الموازية كثيرة، ومتنوعة، ولكن الدراسات التي اهتمت بالخطاب المقدماتي بصفة خاصة، وتطبيقه على المصادر البلاغية والنقدية القديمة معدودة، ومن أهمها:

- **عبد الرازق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم:**[1]

تميّزت هذه الدراسة عن غيرها بأنّها جمعت بين الجانبين النظري والتطبيقي؛ حيث بدأت بمدخل نظري، قارن فيه المؤلِّف بين عتبات النص من المنظور العربي والغربي، ثم تحدَّث عن المقدمات، وأنواعها، ووظائفها، وأعقبها تطبيق على بعض مقدمات المصادر الأدبية القديمة مثل: طبقات فحول الشعراء لابن سلام، والشعر والشعراء لابن قتيبة، وأخبار أبي تمام للصولي، وغيرها.

- **نبيلة أعبش: المقدمات النقدية القديمة في الشعرية العربية:**[2]

ويظهر من عنوان الدراسة اقتصارها على عتبة واحدة من عتبات النص أيضاً، وهي المقدِّمة، وقد بذلت الباحثة جُهداً طيِّباً في عرض الخطاب المقدماتي، ومفهومه، ونشأته، وأنواعه، والعناصر الشكلية والموضوعية التي تُبنى عليها المقدمة، وقد طغى الجانب النظري على التطبيقي في هذه الدراسة؛ فكانت أهم نتائجها أنها أوضحت قيمة المقدمة باعتبارها نصاً موازياً، وبذلك أكدت على أهمية النص الموازي بالنسبة للنص الأصلي.

- **رشيدة عابد: الخطاب المقدماتي في التراث المكونات والأنواع:**[3]

([1]) عبد الرازق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، تقديم: إدريس نقوري، أفريقيا الشرق، المغرب – 2000م.

([2]) نبيلة أعبش: (المقدمات النقدية القديمة في الشعرية العربية)، رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة، الجزائر – 2010م.

([3]) رشيدة عابد: *الخطاب المقدماتي في التراث المكونات والأنواع*، مجلة معارف الصادرة عن جامعة البويرة – الجزائر – 2017م ، س12، ع 22.

ويتجلى موضوع الدراسة في عنوانها؛ فهي تتحدث عن مكونات الخطاب المقدماتي وأنواعه، إلا أنّ ما يُميّز هذه الدراسة أنها اعتمدت في التطبيق على مقدمات كُتب ابن قتيبة الدينوري، وتعامَل المؤلّف مع المقدمة على أنّها جزء أصيل من النص الأصلي، ولا يُمكن التخلّي عنه.

- **عبد الله الهلالي: الخطاب المقدماتي في كتب تاريخ الأدب العربي:**[1]

تناولت الدراسة مفهوم الخطاب المقدماتي، والاستراتيجيات المتحكمة في بنائه، كما عرضت لمصطلح الرؤوس الثمانية، والعلاقات القائمة بين المقدمة وغيرها من عتبات النص، وجاء التطبيق على كتابَين لمؤلفَين مغربيَين.

المبحث الأول: ماهية المقدمة وعناصرها الشكلية

❖ ماهية المقدمة:

تعتبر المقدمة من أهم عتبات النص؛ وذلك لفضائها الواسع، وبنيتها المختلفة، فهي تجمع بين سطورها عدداً من العناصر التي تسمى بعناصر الخطاب المقدماتي، وهي تُكسِب المقدمة وظيفتها الأساسية؛ إذ تجعل منها مدخلا رئيساً يدخل من خلاله القارئ إلى أغوار النص، ويكون ذلك بكشفها عن منهج النص، وطريقة تقسيمه، والغرض من تأليفه، وسبب التأليف، وغيرها من العناصر الكاشفة للنص، ولقد تداخل مع مصطلح المقدمة مجموعة من المصطلحات الأخرى كالتمهيد، والتصدير، والمدخل، والخطبة، وغيرها من المصطلحات التي لم تقف المعاجم العربية

(1) عبد الله الهلالي: *الخطاب المقدماتي في كتب تاريخ الأدب العربي*، مجلة أنساق لغوية وثقافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، المغرب – 2020م، ع2.

على الفروقات الحاسمة بينها كما أكّد عبد الرازق بلال في محاولة تفريقه بين هذه المصطلحات[1]، إلاّ أنّ مصطلح المقدمة هو أكثر هذه المصطلحات استخداماً وشيوعاً.

تأتي لفظة المقدّمة من الجذر اللغوي (قدم)[2]، والقديم هو الشيء الأول الذي يسبق غيره من الأشياء، وهو نقيض الحديث، فالمقدّمة بفتح الدال أو كسرها هي الأول من كل شيء، أي أول الشيء وبدايته وصدره، فكانت مقدمة الجيش أوّله، ومقدمة الكتاب أول الكلام فيه وبدايته، فمقدم الشيء نقيض مؤخره.

وقد تعددت التعريفات الدلالية لمصطلح المقدمة، فعرّفها عبد الرازق بلال بأنها كل نص سابق عن متنه أو لاحق له قصد تقديمه للقارئ ومده بمنهج صاحبه وخطته في التأليف وقصده منها، فهي عنده عبارة عن تعاقد ضمني أو صريح بين المؤلّف وقارئه.[3]

ويظهر تعريف عبد الرازق بلال متأثراً بجيرار جينيت؛ بجعله المقدمة مصطلحاً يطلق على النص السابق للمتن، أو اللاحق له؛ إذ إن جينيت أطلق على كل خطاب بخصوص النص سواء أكان سابقاً له أم لاحقاً به اسم الاستهلال، فالاستهلال عنده

---

[1] ينظر، عبد الرازق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، في حديثه عن الفرق بين مصطلح المقدمة وغيره من المصطلحات المتداخلة معه، ص35:37.

[2] ينظر، مادة (قَدَمَ) عند ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، ص465:472، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص719–720، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ص1783.

[3] ينظر، عبد الرازق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، ص37.

أنواع، استهلال قبلي، وآخر بعدي[1]، وقد أشار بلال أنه قصد بقوله "لاحق له" المقدمات التي تكتب بصيغة الماضي، وتفيد أنها كتبت بعد الفراغ من كتابة المتن[2]، إلا أنّ اعتبار جينيت الذيل والملحق والخاتمة ما هي إلا أشكال من المقدمات أمر يثير الانتباه والتحفظ؛ إذ إن لفظة المقدمة في حد ذاتها لا تصلح لأن تحمل هذه الدلالات معاً، كما أنّ لفظة استهلال لا تصلح أيضاً.

وقد عرّفها عزوز علي إسماعيل بأنها عتبة من عتبات النص، تثير حب الاطلاع على العمل، لأنها تمثل ومضة تثير فينا حب الغائب الذي نبحث عنه، ويقصد بالغائب هنا متن الكتاب، كما يرى أنها أعم وأشمل من مصطلح المدخل، كما أنها تأتي لتبيان الهدف والغاية من العمل نفسه.[3]

وقد أجمع العلماء على الأصالة العربية للخطاب المقدماتي، فالعرب لهم السبق في الاهتمام بالتقديم للكتب وإدراك أهمية المقدمة ووظيفتها؛ إذ انشغلوا بتحديد عناصر تصدير النص كونها المدخل الرئيس إلى أغوار النص، ومجاله الدلالي، ويرى **عباس أرحيلة**[4] أن الجاحظ هو أول من استعمل لفظة مقدمة وتوطئة؛ وذلك في رسالته

---

[1] ينظر، مفهوم الاستهلال عند عبد الحق بلعابد: عتبات من النص إلى المناص، ص112-114، وينظر مصطلح استهلال من الجذر اللغوي (هلل) عند ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، مج11، ص701-702، وأحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3، ص2360.

[2] ينظر، عبد الرازق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، ص37.

[3] ينظر، عزوز علي إسماعيل: المعجم المفسّر لعتبات النصوص موسوعة فكرية في الفنون والآداب، ص71، 366، 367.

[4] عباس بن أحمد أرحيلة: هو من مواليد مدينة مراكش عام 1949م، حصل على الماجستير في موضوع (البحوث الإعجازية وانعكاساتها في الدراسات البلاغية والنقدية حتى نهاية القرن الهجري الرابع)، بكلية الآداب بالرباط عام 1982م، وحصل على دكتوراه الدولة في موضوع (الأثر

(المسائل والجوابات)، حين قال: "ولولا أن هذا الكلام لم يكن من ذكره بد، لأنه تأسيس لما بعده، **ومقدمة** لما بين يديه، وتوطئة، لاقتضبتُ الكلام في المعرفة اقتضابا، ولكن يمنعني عجزُ أكثر الناس من فهم غايتي فيه إلا بتنزيله وترتيبه"[1]

إنّ المقدمة إذاً لا تعدّ شيئاً جديداً أو طارئاً على ثقافتنا العربية القديمة، فملامحها الأولية كانت ظاهرة وموجودة في الأشعار والخطب الجاهلية، وقد أصابها التطور مع تطور حركات التأليف شيئاً فشيئاً؛ فالاعتماد على المقدمة عادة اعتاد عليها القدماء، وفي ذلك قال المقريزي: "اعلم أنّ عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرؤوس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب، وهي: الغرض، والعنوان والمنفعة، والمرتبة، وصحة الكتاب، ومن أيّ صناعة هو، وكم فيه من أجزاء، وأيّ أنحاء التعاليم المستعملة فيه."[2]

أمّا الجانب الغربي، فقد بدأت عناية الغربيين بدراسة عتبات النصوص، وتحليلها مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين؛ وذلك بتوسع مفهوم النص، وظهور مجموعة من المقاربات التي اهتمت بدراسة العتبات، بعد الوعي بمختلف جزئيات النص وتفاصيله، وباعتبار أنّ جيرار جينيت هو أكثر من ذاع صيته في مجال العتبات، فقد

الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الهجري الثامن)، بالكلية نفسها عام 1991م، أشرف على مجموعة كبيرة من الرسائل العلمية، وله مؤلفات عديدة منها: البحوث الإعجازية والنقد الأدبيّ – رسالة التعريف بآداب التأليف لجلال الدين السيوطي – أبو حامد الغزالي ومنهجه في التأليف – الغارة الهلينية والبيان العربيّ – القرآن الكريم والاستشراق الألمانيّ – العنوان: حقيقته وتحقيقه في الكتاب العربيّ المخطوط، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المقالات، وغيرها من المصنفات (ينظر سيرته الذاتية بموقع https://www.academia.edu/).

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، عدد الأجزاء: (4)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، رسالة المسائل والجوابات في المعرفة، ج4، ص65، وعباس بن أحمد أرحيلة: الكتاب وصنعة التأليف عند الجاحظ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطاع الشئون الثقافية، ص107.

[2] تقي الدين المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، ص3.

ذهب إلى كون مصطلح المقدمة يشمل (المدخل، والتوطئة، والديباجة، والتمهيد، والملخص، والحاشية، والاستقصاء، والاستهلال، والتقديم، والفاتحة، والخطاب التمهيدي)، بينما ميّز "جاك دريدا" المقدمة عن المدخل أو الاستهلال، باعتبار المقدمة أكثر نظامية ونسقية، وأقل تاريخية وظرفية لمنطق الكتاب؛ إذ إنها تعالج قضايا أساسية، بخلاف الاستهلال الذي يعتبر استجابة لضرورة ظرفية.[1]

ورغم أهمية المقدمة باعتبارها عتبة من عتبات النص؛ بل هي العتبة الأهم في تفسير المتن وتحليله، وكونها تمثل حلقة الوصل بين القارئ ومتن الكتاب؛ فإنّ أهميتها وضرورتها لا تعد كبيرة مقارنةً بعتبتي (العنوان، والمؤلف)، إذ أمكننا الاستغناء عنها في كثير من الكتابات التي كتبها مؤلفوها دون التقديم لها، ولا يمكننا في الوقت نفسه الاستغناء عن اسم المؤلف أو عنوان الكتاب، وقد وصلتنا مؤلفات بدأ أصحابها بالدخول في موضوع الكتاب دون أي تقديم له، كما فعل أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب في كتابه قواعد الشعر؛ إذ بدأه بقوله: "قواعد الشعر أربع: أمر، ونهي، وخبر، واستخبار. فأما الأمر..."[2]

إنّ أهم عتبات النص وأولاها بالذكر إذاً العنوان والمؤلف، وهو ما أدركه جينيت، وأشار إليه في كتابه بقوله: ".. مَن يتتبع تاريخ مسار النص الموازي في تعاقبه المرحلي، فسيخرج بنتيجة أساسية ألا وهي أن عتبتي المؤلف والعنوان ضروريتان. في حين، لم تكن عتبة المقدمة أو التقديم ضرورية بالمفهوم الإلزامي؛ إذ

[3] ينظر، عبد الحق بلعابد: عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص112-113.

[1] أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب: قواعد الشعر، ط2، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة – 1995م، ص31.

وصلتنا مجموعة من الكتب الكلاسيكية لا توجد فيها مقدمات بشكل عام، لاهي مقدمات ذاتية، ولا هي مقدمات غيرية، ويعني هذا أن المقدمة فعل مطبعي لاحق مقارنة بعتبتي العنوان والمؤلف."[1]

إنّ المقدمات – بطبيعة الحال – لابد أن تكون حاملة للفكرة الأساسية والغرض الرئيسي من الكتاب؛ لذا فإنّها تختلف باختلاف الأفكار والأغراض من نصٍ لآخر، فتتعدد أنواعها، وتتسع دائرة تصنيفها باعتباراتٍ مختلفة متعددة، ويمكن استخلاص بعض أنواع المقدمات، وملاحظة تطوراتها باعتبارين أساسيين هما: الشكل، والمضمون.

وتختلف المقدمات من حيث الشكل، فقد تكون طويلة مستفيضة، وقد تكون قصيرة موجزة، ويرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع، واختيارات المؤلّف، وقد يؤثر ذكر بعض العناصر الشكلية من عدمه على نوع المقدمة، فتُعرف المقدمة التي تبتدأ بالتحميد بـ (المقدِّمة الحمدية) ، وكان الاستفتاح بالحمد عادة اعتاد عليها العرب في خطبهم، ومقدمات كتبهم منذ العصر الإسلامي، بل كانوا أحياناً لا يطلقون على النص الخارج عن المتن اسم المقدمة، ولكن أطلق عليه بعضهم اسم (خطبة الكتاب، أو فاتحة الكتاب)؛ لذا جرت العادة على افتتاحها بالحمد، كما كانت تفتتح الخطب والرسائل على عهد رسولنا الكريم ﷺ، أمّا المقدّمة التي لا تبتدأ بالتحميد فتسمى (المقدمة البتراء) ، بينما (المقدمة الشوهاء) هي التي تخلوا من القرآن، والصلاة على النبي الكريم ﷺ، وسنفصل ذلك بالشواهد والأمثلة أثناء الحديث عن الحمدلة كعنصر من العناصر

[2] جيرار جنيت:عتبات، ص152، نقلاً عن جميل حمداوي: شعرية النص الموازي عتبات النص الأدبي، ص189.

الشكلية للمقدمة، ولنكتفي هنا بالوقوف على قول الجاحظ في بيانه: ".. وعلى أن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد: (البتراء). ويسمون التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: (الشوهاء).."[1].

أمّا المقدمات من حيث المضمون، فتختلف باختلاف العلم والمجال الذي يُصنَّف فيه المتن، كما تختلف باختلاف الموضوع والفكرة نفسها التي يحملها النص الأصلي، فتتنوع ما بين مقدمات دينية، وتاريخية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية، وعلمية، وأدبية، وبلاغية، ونقدية، ولغوية، وقانونية ... وغيرها من المقدمات المنتمية إلى مجالات مختلفة ومتنوعة.

ويُعتبر الخطاب المقدماتي المَدخل الرئيس لمتن النص؛ لذا يدخل في تكوينه مجموعة عناصر ومكونات تساعد على توضيح الأفكار الأساسية للمتن، وتقريبها إلى القارئ قبل الدخول في أغوار النص، فتسهم في ضمان قراءة واضحة جيدة لمتن الكتاب، وتمثّل هذه العناصر في مجموعها بنية الخطاب المقدماتي، وتأتي عادةً على نوعين رئيسين هما العناصر الشكلية، والعناصر الموضوعية، وتتكاتف هذه العناصر لتبرز وظيفة المقدمة ودورها الأساسي كواحدة من أهم عتبات النص.

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ط7، عدد الأجزاء: (4)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة – 1998م، ج2، ص6، وللمزيد حول أنواع الخُطَب تراجع الصفحة نفسها وما يليها عند الجاحظ.

❖ **العناصر الشكلية للمقدمة:**

العناصر الشكلية التمهيدية هي مجموعة عناصر ذات أغراضٍ شكلية، يعتمد عليها المؤلّف في بداية المقدمة كتمهيد واستفتاح قبل الدخول في مضمونها، ورغم أنه قسم شكلي، فإنّ تضافر هذه العناصر واتحادها يعطى للنص قيمته وفاعليته، حتى أجمع المؤلفون أن العناصر الشكلية لا بد أن تقوم عليها كل المقدمات، وإلا تعتبر المقدمة شوهاء أو ناقصة، وهذا النوع من العناصر تمتلئ به المقدمات العربية في حين تخلو منها أغلب المقدمات الغربية، التي تدخل في مضمون المقدمة مباشرةً معتمدة فيها على العناصر الضمنية، وأهم العناصر الشكلية التي تقوم عليها أغلب المقدمات العربية إلى وقتنا هذا:

1. **البسملة:**

هي كلمة مختزلة ومنحوتة من جملة □ □ □ □ □ □ [1]، وجرت العادة منذ زمن بعيد وقبل ظهور الإسلام على بدء الكلام بالبسملة؛ إذ كانت قريش تبدأ كلامها وكتاباتها بقولهم: "**بسمك اللهم**" وفي هذا قصة أوردها لنا القلقشندي نقلا عن المسعودي في مروج الذهب[2]، فجاء الإسلام وسار على ما كانت عليه قريش، حتى نزل قوله تعالى: □ □ □

[1] ينظر، مصطلح (بسملة) عند ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص56، وعند أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، جزءان، ط2، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، ج1، ص49، والمعجم الوسيط، ص57، وأحمد مختار عمر في معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص206.

[2] ينظر، القصة وراء ابتداء قريش كتاباتهم بالبسملة عند الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، كتاب صبح الأعشى، ج6، ص217–219.

[illegible] [1]، فاستفتح الرسول بـ "بسم الله"، حتى نزل [illegible] [2]، فكتب "بسم الله الرحمن"، حتى نزل [illegible] [3]، فكتب "بسم الله الرحمن الرحيم"، فأغلب المقدمات والكتابات تبدأ بالبسملة منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا، فهي عادة حسنة، وبداية طيبة يستبرك بها، لذلك حوت جل المقدمات العربية على البسملة في صفحاتها الأولى، فأورد لها ابن سلام في **طبقات الشعراء** سطراً، وذكرها **ابن المعتز في بديعه** بقوله: "بسم الله"، **وعبد القاهر في دلائل الإعجاز، وأبو حيان في الإمتاع والمؤانسة، والقاضي الجرجاني في الوساطة، وابن الأثير في المثل السائر،** وهذا لا يمنع وجود بعض المقدمات التي دخل مؤلفوها في موضوع المقدمة مباشرةً دون سابق تمهيد، وعلى سبيل المثال قدامة بن جعفر في نقد الشعر، إذ دخل في مضمون المقدمة دون البدء بالبسملة، وقد كان سفيان الثوري يكره للرجل أن يكتب شيئا دون أن يبدأ بـ "[illegible]" وعن سعيد بن جبير أنه قال: لا يصلح كتاب إلا أن يكون أوّله "[illegible]". [4]

[3] سورة هود: من الآية (41).

[4] سورة الإسراء: من الآية (110).

[5] سورة النمل: من الآية (30).

[6] أبو العباس أحمد القلقشندي: كتاب صبح الأعشى، ج6، ص219-220.

2. الحمدلـــة:

هي كلمة مختزلة ومنحوتة من (الحمد لله)[1]، وكان الاستفتاح بالحمد عادة اعتاد عليها العرب في خطبهم، ومقدمات كتبهم منذ العصر الإسلامي، حتى باتت المقدمة الحمدية أكثر أنواع المقدمات شيوعاً وانتشاراً إلى وقتنا الحالي؛ وذلك تأثراً بفاتحة الكتاب (سورة الفاتحة)، التي تبدأ بـ □ □ □ □ □ □ مسبوقة بالبسملة، وفي ذلك قال القلقشندي: "لما كان الحمد مطلوبا في أوائل الأمور طلبا للتيمّن والتبرّك.. اصطلح الكتّاب على الابتداء به في الكثير مما يكتبونه من المكاتبات.. وأتوا بالحمد لله بعد البسملة تأسّيا بكتاب الله تعالى، من حيث أن البسملة آية من الفاتحة كما هو مذهب الشافعيّ رضي الله عنه"[2]، وقد جاء القلقشندي بالحمدلة بعد البسملة في مقدمة كتابه **صبح الأعشى**، إذ قال: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله جاعل المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، والمتكلم بأجمليه، فصاحته وبيانه..."[3]، وجاء بها الجرجاني في **دلائل الإعجاز**، وأعقبها بالتصلية على النبي ﷺ بقوله: "تبارَكَ الَّذِى نزَّل الفُرْقَانَ على عَبْدِه لِيكونَ للعالمينَ نَذِيرا، والحمدُ لله الذي هدانَا بِه وأخرجَنا من الظلماتِ إلى النُّورِ، وصلَّى الله على نبينا محمد الذي نَزَل القرآن العظيم بلسانِه لسانا عربيًّا مُبِيناً..."[4]، وقال ابن الأثير في **المثل السائر**: "بسم الله الرحمن الرحيم. نسأل الله ربنا أن يبلغ بنا من الحمد ما هو أهله، وأن يعلمنا من البيان ما

---

(1) ينظر، مصطلح (حمدل) عند أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ج1، ص49، وأحمد مختار عمر في معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص557، وينظر الجذر اللغوي (حمد) عند ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص155.

(2) أبو العباس أحمد القلقشندي: كتاب صبح الأعشى، ج6، ص224–225.

(3) السابق نفسه: ج1، ص5.

(4) أبو بكر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص أ بعد صفحة الغلاف.

يقصر عنه مزية الفضل وأصله.."[1]، وهذا لا ينفي استغناء بعض الكتاب عن هذا النوع من العناصر الشكلية في مقدماتهم، **فابن سلام في طبقاته** –مثلا– لم يعقب البسملة بالحمدلة، ولم يذكرها **ابن قتيبة في نقد الشعر، والكلاعي في إحكام صنعة الكلام**، وغيرهم من الكتاب؛ فوجود العنصر الشكلي من عدمه لا يؤثر تأثيراً كبيراً على الغرض المراد من مقدمة الكتاب.

3. الدعـــاء:

هو من الفعل (دعا)[2] أي: حثّ على أمرٍ ما أو نادى به للحاجة إليه، وعادة ما يكون المراد بالدعاء الرغبة إلى الله تعالى طلباً للحاجة والعون والاستغاثة به، كالثناء عليه والدعاء بالرحمة والمغفرة وطلب الرزق، والدعاء في المقدمة يأتي على نوعين: النوع الأول هو **الصلاة على رسولنا الكريم** ﷺ:[3]، ويقصد بها الثناء عليه، والدعاء له، وهي عادة مباركة تأتي بعد البسملة والحمدلة، فكل أمرٍ يبدأ بالصلاة على النبي يكون مباركاً، وأحياناً يتجاوزها المؤلف، ويدخل في موضوع المقدمة مباشرةً، كما فعل الجاحظ في البيان والتبيين، وابن سلام في طبقات الشعراء، وابن قتيبة في الشعر والشعراء، وقدامة في نقد الشعر، وابن الأثير في المثل السائر، والقاضي الجرجاني في وساطته، وذكرها **قدامة في مقدمة كتابه نقد النثر** بعد البسملة؛ فقال بعد البسملة: " صلى الله على

---

[5] ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص33.

[1] ينظر، الجذر اللغوي (دعا) عند ابن منظور: لسان العرب، مج14، ص275، و(دعو) عند أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص747، وعند الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص548.

[2] ينظر، ابن منظور: لسان العرب، مج14، ص466، وأحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1317، والمعجم الوسيط، ص522.

سيدنا محمد وعلى آله وسلم. إنّ أولى ما افتتح اللبيب كتابه، وابتدأ به الأديب خطابه، ما افتتح الله به القرآن، وجعله آخر دعوى أهل الإيمان. فالحمد لله شكراً لنعمته، واعترافاً بمنته. وصلى الله على محمد وعترته، والأخيار من ذريته."[1]، وأوردها **الكلاعي** بعد الحمدلة في **إحكام صنعة الكلام** بقوله: "الحمد لله الذي أراد أمراً انفرج بابه، واتفقت أسبابه. والصلاة والسلام على محمد خيرته، وعلى أبرار عترته، وسلم تسليماً."[2] وقال **أبو حيان في الإمتاع والمؤانسة:** ".. والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبيّه وعلى آله الطاهرين. أمّا بعد.."[3]

وأما النوع الثاني فهو **الدعاء لشخصٍ ما**، ويُقصد به الدعاء للمخاطَب أو الغائب الموجَّه إليه الخطاب، ويكون الدعاء بغرض المدح والثناء، أو بغرض إهداء العمل إلى شخصٍ بعينه، وقد يكون الدعاء للنفس بغرض طلب العون من الله، والاستعانة به في قضاء الحاجة، ومن ذلك قول القاضي الجرجاني في مقدمة الوساطة: "التفاضل – أطال الله بقاءك – داعية التنافس..."[4]، وقول **الكلاعي:** " حضرت – أبقاك الله للعلم تنظم جواهره، وللفهم تطلع أزاهره – مجلساً بيني وبين من رفعته عن الذكر..."[5]، وقوله أيضاً:

---

(3) أبو الفرج قدامة بن جعفر: نقد النثر، تحقيق: طه حسين وعبد الحميد العبادي، المطبوع الخامس عشر من مطبوعات كلية الآداب، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة – 1933م، بعد مقدمة التحقيق، ص1.

(4) أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي الأندلسي: إحكام صنعة الكلام، ص21.

(5) أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، ج1، ص33.

(6) القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص1، بعد مقدمة التحقيق.

(1) أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي: إحكام صنعة الكلام، ص21.

" جمعني وإياه – أدام الله علياه – مجلس واحد.."[1]، **وعبد القاهر** الذي بدأ مطلع مقدمة **دلائل الإعجاز** بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله، والتوكل على الله، والدعاء بالتوفيق، والاستعاذة به من ادعاء علم لا يعلمه، وقوله: "والله تعالى الموفق للصواب، والملهم لما يؤدي إلى الرشاد بمنه وفضله"[2]

4. التشـــهد:

ويقصد بها قول الشهادتين "**أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله**"[3]، وقد تجاوزها معظم كتاب العرب في مقدماتهم، فلم يذكرها إلا القليل منهم، ومن ذلك **القلقشندي في صبح الأعشى** بقوله: ".. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يوقّع لصاحبها بالنجاة من النار، ويكتب قائلها في ديوان الأبرار. وأن محمدا عبده ورسوله الذي اهتزّت لهيبته الأسرّة وشرفت بذكره المنابر..."[4]

هذه العناصر الأربعة تعتبر أبرز العناصر الشكلية التي عرفتها المقدمات والخطب العربية، والتي ميّزت مقدماتنا العربية عن المقدمات الغربية الحديثة إلى وقتنا الحاضر، وجرت عادة القدماء على التخلص من الاستهلالات الشكلية بقولهم: "**أمّا بعد أو وبعد**"؛ للانتقال إلى العناصر الضمنية للمقدمة، وأسماها العلماء فصل الخطاب، وقيل أنّ داود عليه السلام أوّل من قالها، وذلك استشهاداً بقوله تعالى عن داود عليه

[2] السابق نفسه: ص22.

[3] الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني النحوي: دلائل الإعجاز، ص3 بعد مقدمة التحقيق.

[4] ابن منظور في لسان العرب: مج3، ص239 وما بعدها، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1241.

[5] الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي: كتاب صبح الأعشى، ج1، ص5.

السلام: " □□ □ □ □ □ □ □ [1] ؛ إذ يفصل بها الكاتب بين ذكر الله ومضمون الخطاب أو بين العناصر الشكلية والموضوعية للمقدمة.[2]

المبحث الثاني: العناصر الضمنية للمقدمة

هي مجموعة عناصر أساسية، تجعل الخطاب المقدماتي جسراً يسهّل على القارئ الانتقال من حالة عدم التركيز إلى التركيز؛ وذلك قبل الدخول إلى متن النص، فهي إذاً بمثابة إعطاء نبذة أو ملخص موجز للنقاط الأساسية التي يشرحها الخطاب الرئيس ويفصّلها، فالعناصر الموضوعية تعمل على توجيه القارئ لفهم الموضوع، ومعرفة أهميته، والغرض من تأليفه، ومحاوره الرئيسة، وأهم العناصر الموضوعية التي تقوم عليها أغلب المقدمات العربية والغربية هي:

1. **الداعـــي التأليـفي:**

يرى عزوز علي إسماعيل أنّ الداعي التأليفي أو الحافز ما هو إلا "عتبة من عتبات النصوص، فلولا وجوده، ما كتبنا ... وأقل ما يمكن أن يقال إن الحافز هو الدافع نحو الكتابة"[3]، ويعد الداعي التأليفي من أهم العناصر الموضوعية، وأكثرها

---

[6] سورة ص: الآية (20)

[7] ينظر، تفصيل ذلك عند الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، عدد الأجزاء: (13)، أشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، وأشرف على طبعه وإخراجه محب الدين الخطيب، الجزء الثاني ص404، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أمّا بعد، والجزء السادس ص456، باب واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب إلى قوله وفصل الخطاب.

([1]) عزوز علي إسماعيل: المعجم المفسّر لعتبات النصوص موسوعة فكرية في الفنون والآداب، ص149.

غموضاً لدى القارئ، لأنّ السبب الحقيقي وراء التأليف يستوطن عقل المؤلف وحده دون غيره، وهو المصرِّح به، فالمؤلف هو الشخص الوحيد الذي يعرف السبب الحقيقي من تأليف كتابه، ويحاول إيصاله للقارئ عن طريق مقدمة الكتاب، فابن سلام الجمحي – مثلاً – في كتابه طبقات فحول الشعراء أشار إلى غرض تأليفه بقوله: "ذكرنا العرب وأشعارها، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم، ولا يستغنى عن علمه ناظر في أمر العرب، فبدأنا بالشعر."[1] فصرّح بالغرض الأساسي من كتابه ومادته في آنٍ واحد، إلا أنّ هذا الغرض قد سبقه باعثٌ آخر في نفس ابن سلام أثبتته مقدمة الكتاب، وهو تخليص الشعر العربي من الأشعار الدخيلة والموضوعة، وهي قضية أثارها ابن سلام، وأظنها كانت غرضاً أساسياً من كتابه الطبقات، فهو لم يكن وقتها أول من يجمع الشعر العربي، ولكن سبقه بعضٌ ممن حاولوا جمع الأشعار العربية، ولكن دون تخليصه مما هو موضوع ومنتحل، فابن سلام إذاً دفعه إلى تأليف كتابه سببان: سبب ظاهر، والذي صرّح به ابن سلام، وهو جمع ما تفرق من شعر العرب في كتابٍ واحد؛ وذلك ليكون مصدراً للدارسين والباحثين في تاريخ الأدب العربي، وأراد أن يختار من هذا الشعر ما هو مشهور ومعروف، لا مجهول أو مستور، كما أنه حاول تصنيف هذا الشعر بحسب درجات الشعراء ومراتبهم، ليوضح مستوى كل شاعر في عصره بشكلٍ خاص وفي

(2) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر أبو فهر، ص3.

التاريخ بشكلٍ عام، وكأنه أراد أن يسجل شهادته الخاصة في حق الشعر والشعراء؛ ليؤسس نظرته النقدية في تاريخ الأدب.

أما السبب الثاني الحقيقي في تلك المقدمة النقدية هو الشك في صحة نسبة بعض الأشعار الجاهلية إلى شعرائها، وسوق الأدلة على وجود الأشعار الموضوعة والمنتحلة في الشعر العربي، إذ يرى الدكتور محمد زغلول سلام أنّ ابن سلام أراد بكتابه هذا تخليص الشعر الصحيح من المنحول وفق منهج علمي سليم.[1]

فابن سلام أراد توثيق شعر العرب بعد تنقيته من كل دخيل عليه، وتوثيق الأدلة التي أدت إلى دخول الشعر العربي ما ليس فيه، ولعلّ مقدمة الكتاب لعبت الدور التحليلي للأسباب التي ساعدت على ظهور الأشعار المفتعلة، ليأتي متن الكتاب موثّقاً للشعر العربي الأصيل دون المفتعل؛ وبذلك كانت المقدمة خيرَ تمهيدٍ لمتن الكتاب، وخير وسيلة لمساعدة القارئ على الربط بين مضمون الكتاب والغرض الحقيقي للمؤلّف؛ إذ بدأ ابن سلام بالإشارة إلى القضية، وتحليلها، وسوق الأدلة والأسباب التي أدّت إليها في المقدمة، ثم جاء في المتن بالأشعار بعد تأصيلها، وتنقيتها، ونسبتها إلى أصحابها.

2. جنس الكتـــاب:

إنّ جنس الكتاب يعني المجال الذي ينتمي إليه المؤلَّف، ويتضمن الحديث عنه الإشارة إلى الموضوع الدقيق الذي وضع فيه الكتاب، فجنس الكتاب قد يكون الأدب، أو

(1) ينظر، محمد زغلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ط1، منشأة المعارف بالإسكندرية – 2002م، ص101.

البلاغة، أو النقد، ويمثّل موضوع الكتاب قضية من القضايا الأدبية، أو البلاغية، أو النقدية، وهكذا.

وقد يعمد بعض المؤلفين إلى ذكر جنس الكتاب وموضوعه في المقدمة بشكل صريح ومباشر، وقد يشير إليها بعضهم إشارة سريعة أو يلمّح تلميحاً خاطفاً[1] معتمداً في ذلك على ذكره للغرض أو الداعي من التأليف، وقد يشير الكاتب إلى موضوع كتابه بتفسيره لعنوان الكتاب، فتفسير العنوان قد يكون سبيلاً للجمع بين غرض الكتاب وموضوعه.

إنّ ابن سلام في طبقاته أشار إلى موضوع الكتاب منذ الوهلة الأولى حينما أقرّ بتأليفه الكتاب لذكر العرب وأشعارها وشعرائها، وقدامة في **نقد الشعر** الذي قال بوضعه الكتاب في نقد الشعر وتمييز جيده من رديئه؛ بل إنه عمد إلى جنس التأليف من عنوان الكتاب، وقبل الإشارة إليه في المقدمة، وهو ما فعله في كتابه **نقد النثر** أيضاً؛ إذ أشار إلى جنس التأليف في عنوان الكتاب، وذكر موضوع الكتاب ومضمونه في مقدمته بقوله: ".. وقد ذكرت في كتابي هذا جملا من أقسام البيان.. لم أسبق المتقدمين إليها، ولكني شرحت في بعض قولي ما أجملوه..".[2]

3. منهج التأليف:

منهج في اللغة من (نهَجَ)، ونهج الطريق: سلكه وخاضه، ونهْج البلاغة: أي طريقها الواضح، فالمنهج أسلوب وسبيل يسلكه صاحبه للوصول إلى غرضه، أما خُطَّة

([2]) ينظر، وليد أحمد سمير: *"رحلة الأندلس" لحسين مؤنس التقنيات التشكيلية والأنساق الدلالية*، ص364.

[1] قدامة بن جعفر: نقد النثر، بعد مقدمة التحقيق، ص3.

فهي مفرد جمعه خُطَط من (خَطَطَ)، يقال: اختطَّ لنفسه سلوكًا: رسم لنفسه خُطَّة ونهجًا ومثالاً، فالخُطة هي منهج وطريقة، ومجموعة التدابير والإجراءات المتخذة الهادفة إلى إنجاز عملٍ ما.[1]

فأبو هلال العسكري يصرّح بالهيكل العام لكتابه **(الصناعتين)** بقوله في المقدمة: ".. فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملا على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام: نثره ونظمه.. وأجعله عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلا... ثم أورد عناوين الأبواب العشرة."[2]

والقلقشندي الذي ذكر في مقدمة كتابه **(صبح الأعشى في صناعة الإنشا)** هيكل الكتاب في إجمال وإيجاز بقوله: وقد رتبته على مقدمة، وعشر مقالات وخاتمة.. ثم أسهب واستفاض في ذكر تفاصيل هذه الأقسام[3]؛ إذ بدأ بمقدمة عن المبادئ التي يجب تقديمها قبل الخوض في صناعة الإنشاء، واعتمد على تقسيم هذه المقدمة إلى أبواب، والأبواب إلى فصول، فجاءت في خمسة أبواب كل باب مقسّم إلى فصول، فالباب الأول الذي جاء بعنوان " في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذم حمقاهم"؛ فيه فصلان، الفصل الأوّل: في فضل الكتابة، والفصل الثاني: في مدح فضلاء الكتّاب وذمّ حمقاهم، وكذلك مقالات الكتاب فكل مقالة قسمها إلى أبواب، والأبواب إلى فصول،

---

(2) ينظر مادة (نَهَجَ)، أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص664 – ج 3، ص2291.

(3) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، ص5.

(1) ينظر، الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي: كتاب صبح الأعشى، ج1، ص10 وما بعدها.

وجاءت الخاتمة أيضا في أربعة أبواب مقسمة إلى فصول، وأورد القلقشندي عناوين جميع أبواب وفصول كتابه في خطبة الكتاب كما وسمها.

4. تقريظ الكتاب[1]:

تقريظ من (قَرَّظَ) أي: مَدَح، قرظ فلان فلانا، وهما يتقارظان المدح إذا مدح كل واحد منهما صاحبه، وقرَّظ الكتابَ: وصف محاسنه ومزاياه[2]، فتقريظ الكتاب هو إيراد نص في مقدمته لمدحه والإشادة بمضمونه وأهميته في مجال تأليفه؛ فقد يعمد المؤلِّف إلى مدح الكتاب أثناء حديث المقدمة، والثناء على موضوعه لإبراز أهمية الكتاب وفائدته وهو عاملٌ من عوامل جذب القراء، ومنه قول قدامة بن جعفر مثنياً على كتابه **(نقد النثر)**: ".. ولكني شرحت في بعض قولي ما أجملوه، واختصرت في بعض ذلك ما أطالوه، وأوضحت في كثير منه ما أوعروه، وجمعت في مواضع ما فرقوه، ليخف بالاختصار حفظه، ويقرب بالجمع والإيضاح فهمه."[3]، فقدامة في عبارته السابقة حاول الجمع بين عنصرين من عناصر المقدمة معاً هما منهج التأليف وتقريظ الكتاب؛ إذ أشار إلى منهجه بشيء من الثناء على كتابه الذي يوضح ويختصر كتب سابقيه، ويقول الكلاعي مادحاً **(إحكام صنعة الكلام)**: ".. هذه الرسالة التي ابتدعتها قالباً يفرغ عليه، واخترعتها اماماً يفزع إليه، تحرز ما أنعم الله به على الإنسان من علم البلاغة

([2]) للمزيد حول تقريظ الكتاب ينظر، نبيلة أعبش: (المقدمات النقدية القديمة في الشعرية العربية)، ص52-53.

[3] ينظر، ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، مج7، ص218، وأحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ص1801.

[4] أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي: نقد النثر، ص3 بعد مقدمة التحقيق.

والبيان."[1]، ومدح ابن رشيق القيرواني كتابه **(العمدة في صناعة الشعر ونقده)** بقوله: ".. فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه، ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه.."[2].

5. ذكر مصادر التأليف:

إن الإشارة إلى مصادر التأليف في مقدمات الكتب عنصر حديث قلَّ أن نجده في تراثنا النقدي والبلاغي، إذ اهتم المحدثون بذكر أهم المصادر التي اعتمدوا عليها أثناء عرضهم لموضوع الكتاب ومحتوياته، وهو أمرٌ يساعد القارئ كثيراً في التعرُّف على محتوى المتن خاصةً وإن كان قد اطّلع على هذه المصادر قبل ذلك؛ ولكنّ هذا لا ينفي إشارة بعض الكتاب العرب في مقدمات كتبهم قديماً إلى بعض المؤلَّفات التي تأثروا بها في تأليفهم، كما فعل ابن بسام في مقدمة الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة حينما صرّح بأخذه عن الثعالبي واطلاعه على كتابه يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، وهو ما ظهر بوضوح في منهجه وتقسيماته الداخلية التي تشبه إلى حد كبير منهج الثعالبي وتقسيماته لليتيمة؛ قال ابن بسام في مقدمته: ".. فإني رأيت أكثر ما ذكر الثعالبي من ذلك في "يتيمته" محذوفاً من أخبار قائليه.."[3]

إنّ العلاقة التي تربط مقدمة الكتاب بمتنه علاقة وطيدة قوية، وظهر ذلك جليًّا في اعتماد علماء النقد والبلاغة بصفةٍ خاصة، وعلماء العربية بصفةٍ عامة على جمع أهم العناصر المتعلِّقة بموضوع النص في الخطاب المقدماتي؛ فجاءت المقدمات حاملة

(1) أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي الأندلسي: إحكام صنعة الكلام، ص31

(2) ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده، خطبة الكتاب، ص5

(3) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص34.

لأغلب عناصرها الضمنية؛ بل ناقشت في كثيرٍ من الأحيان قضايا نقدية مهمة، لا بد أن يطّلع عليها القارئ؛ حتّى يتسنّى له فَهم المتن وأدراكه من جميع جوانبه، وهذا يدل على وعي العلماء العرب منذ القِدم بالدور الكبير الذي يلعبه الخطاب المقدماتي، وضرورة توجيه القارئ منذ البداية نحو هدف النص وغرضه، ومساعدته على فَهمه، والوصول إلى مضمونه بالاتِّكاء على عناصر المقدمة.

❖ **نتائج الدراسة:**

- توصلت الدراسة إلى اعتماد العلماء العرب في كتاباتهم النقدية، والبلاغية، والكتابات الأدبية بشكلٍ عام على العناصر الشكلية؛ بل إنهم أوجبوا في كثيرٍ من الأحيان البَدْء بها، كونها استهلال يحمل بعض الصفات الدينية التي يُمكن التّبرُّك بها، وعابوا على كل كاتبٍ يُهمِل هذه العناصر الاستهلالية، حتى أطلقوا على المقدمات التي تَخْلوا منها، مقدمات بتراء، أو شوهاء، مما يؤكِّد إدراكهم لأهمية المقدِّمة، وأهمية استهلالها بتلك العناصر الشكلية التي تُمهِّد عقل القارئ، وتجذبه نحو العمل الأدبي، وقبل الدخول إلى العناصر الموضوعية للنص.
- أبانت الدراسة عن قدرة القارئ على تحديد الخصائص الفنية والفكرية والأسلوبية للنص بمجرّد الاطلاع على مقدمته، والوقوف على أهم عناصرها، والوصول إلى هدف النص وغرضه، والطريقة التي يُفكِّر بها مؤلِّفه، والفائدة التي يريد الخروج بها من النص.
- أوضحت الدراسة مدى التنوع في استخدام مصادر النقد والبلاغة العربية القديمة لعناصر الخطاب المقدماتي؛ فالمؤلِّف يستخدم من العناصر ما يتناسب مع

منهجه في التأليف؛ فقد يحتاج إلى توظيف جميع عناصر المقدمة، وقد لا يحتاج إلا بعضها؛ لتأدية غرضه من المقدمة.

- كشفت الدراسة عن قدرة العلماء العرب في الربط بين قضايا الخطاب المقدماتي، ومضمون النص الأصلي؛ حيث يستعرض المؤلِّف أهم القضايا النقدية المرتبطة بمضمون الكتاب بالاعتماد على المقدمة؛ لكي يُهيّئ للقارئ جواً يُساعده على فَهم النص، ويعرض له الصورة العامة لقضايا الكتاب، وأهم النقاط الأساسية التي سيعتمد عليها في رحلته داخل الكتاب.

❖**توصيات الدراسة:**

- يحتاج الخطاب المقدماتي في التراث العربي القديم إلى اهتمام الباحثين، وعنايتهم به، ودراسته من جهة النص، ومن جهة المؤلِّف، ومن جهة القارئ؛ إذ يساعد ذلك على اكتشاف كنوز من الدلالات والتأويلات المختلفة، التي تجعلنا ننظر إلى مصادر التراث العربي نظرة مختلفة؛ فنخرج منها بفوائد وأفكار جديدة.

Abstract

The introductory discourse — regarded as a form of paratext — stands as a fundamental pillar in the architecture of discourse production within classical Arabic rhetoric and critical traditions. A discourse could scarcely be conceived without being ushered in by a prologue, an opening statement, or a formal introduction. It is through this preliminary text that the essential components of composition, the author's method and approach, the internal organization of the text, the purpose behind its creation, its significance, and other intimately connected elements are conveyed — elements so vital that their omission would compromise the coherence of the text itself. The researcher has closely examined these features and explored them through the sources selected for this study, The researcher sought to identify the most important elements upon which the introductory discourse is based, elements that help it achieve its objectives, strengthen its connection to the main text, assist the reader in understanding the text, guide them toward the correct approach, and prepare them psychologically for the long journey through the text. The researcher examined the key formal and implicit elements that Arab scholar relied upon in their critical, rhetorical, and literary writings. Through this investigation, the researcher concluded that scholars placed great importance on the role of introductory discourse elements, applied this role in practice, and consistently presented these elements before beginning the main body of their texts, regarding the introduction as an inseparable part of the work. Thus, the relationship between the book's introduction and its main body is a strong and intrinsic one. This became evident in the reliance of critics, rhetoricians in particular, and Arab scholars more generally, on gathering the most significant elements related to the subject of the text within the introductory discourse. Consequently, these introductions

often contained most of the implicit components of the main text — a conclusion drawn from the study's analysis of the elements of introductory discourse in their writings.

- **Keywords:** Introductory Discourse – Paratext – Elements of Introductory Discourse – Formal Elements – Implicit Elements.

❖ المصادر والمراجع:

- **أولاً: القرآن الكريم**
- **ثانياً: مصادر الدراسة:**

1. الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي، ت 471هـ): دلائل الإعجاز، ط3، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة – مطبعة المدني، عام 1992م.
2. أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس، ت 414هـ): الإمتاع والمؤانسة، عدد الأجزاء (3)، ط1، اعتنى به وراجعه: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية صيدا – بيروت، 2011م.
3. ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن، ت 456هـ): العمدة في صناعة الشعر ونقده، ط1، حققه وعلّق عليه النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة – 2000م.
4. ضياء الدين بن الأثير، (ت 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، عدد الأجزاء (4)، ط1، قدمه وحققه وعلق عليه: الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة – القاهرة، د.ت.
5. القاضي الجرجاني (أبو الحسن علي بن عبد العزيز، ت 392هـ): الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ونسخة ثانية صححها وشرحها: أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان – صيدا 1331هـ.

6. ابن قتيبة (محمد بن عبدالله الدينوري الكوفي، ت 276هـ): الشعر والشعراء، عدد الأجزاء (2)، ط2، تحقيق وشرح: الأستاذ أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، 1966م.

7. قدامة بن جعفر، (ت 337هـ): نقد الشعر، ط1، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، لبنان – 2006م.

8. القلقشندي (أبو العباس أحمد، ت 821هـ): كتاب صبح الأعشى، عدد الأجزاء (14)، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، عام 1922م، وطبعة أخرى بعنوان صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط1، عدد الأجزاء (14)، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – 1987م.

9. الكلاعي (أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي الأندلسي) – (ذو الوزارتين): إحكام صنعة الكلام، ط1، تحقيق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الثقافة بيروت – لبنان، 1966م.

10. محمد بن سلام الجمحي، (ت 231هـ): طبقات الشعراء، تمهيد الناشر الألماني: جوزف هل، ودراسة عن المؤلف والكتاب للأستاذ طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2001م، وطبعة أخرى بعنوان (طبقات فحول الشعراء) قرأها وشرحها: الأستاذ محمود محمد شاكر أبو فهر، جزءان، طبعة دار المدني – جدة.

11. أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل، ت 395هـ): كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، ط1، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1952م.

- **ثالثاً: مراجع الدراسة:**

1. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عدد الأجزاء (4)، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ - 2008م.

2. تقي الدين المقريزي (أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، ت 845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخِطط المقريزيّة، جزءان ، ط1، طبعة دار صادر – بيروت، 1418هـ.

3. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت 255هـ): البيان والتبيين، عدد الأجزاء (4)، ط7، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1998م.

4. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت 255هـ): رسائل الجاحظ، عدد الأجزاء (4)، ط1، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، 1964م.

5. جميل حمداوي: شعرية النص الموازي (عتبات النص الأدبي)، ط2، (النسخة الرقمية المنشورة على شبكة الألوكة)، عام 2016م.

6. رشيدة عابد: *الخطاب المقدماتي في التراث المكونات والأنواع*، مجلة معارف الصادرة عن جامعة البويرة – الجزائر- 2017م ، س12، ع 22.

7. عبد الحق بلعابد: عتبات من النص إلى المناص، ط1، تقديم د. سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008م.

8. عبد الرازق بلال: مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، تقديم: إدريس نقوري، أفريقيا الشرق، المغرب – 2000م.

9. عبد الله الهلالي: *الخطاب المقدماتي في كتب تاريخ الأدب العربي*، مجلة أنساق لغوية وثقافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، المغرب – 2020م، ع2.

10. عبد الواحد بن ياسر: الخطاب المقدماتي، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة – 2003م ، مج12، ج47.

11. عزوز علي إسماعيل: المعجم المفسّر لعتبات النصوص موسوعة فكرية في الفنون والآداب، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2019م.

12. مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، ط4، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، عام 2004م.

13. محمد زغلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ط1، منشأة المعارف بالإسكندرية – 2002م.

14. ابن منظور (جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى المصري): لسان العرب، ط3، عدد الأجزاء (15)، طبعة دار صادر– بيروت، 1414هـ.

15. نبيلة أعبش: (المقدمات النقدية القديمة في الشعرية العربية)، رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة، الجزائر – 2010م.

16. وليد أحمد سمير: "*رحلة الأندلس" لحسين مؤنس التقنيات التشكيلية والأنساق الدلالية*، مجلة كلية الآداب – جامعة بنها، مج61، ع1، أبريل 2024م.

****